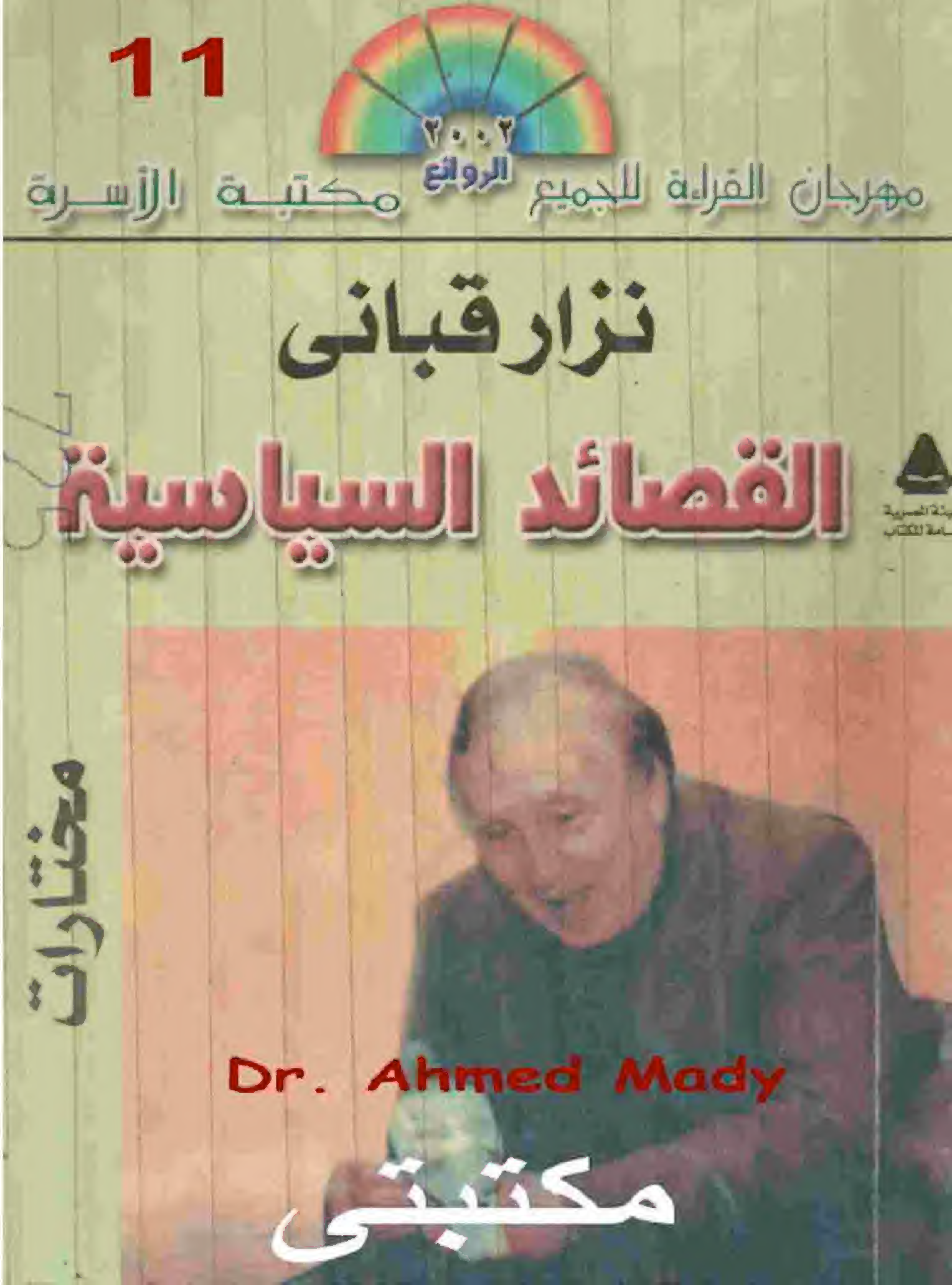

11
٢٠٠٢
الروائع
مهرجان القراءة للجميع مكتبة الأسرة
نزار قبانى
القصائد السياسية
مختارات
Dr. Ahmed Mady
مكتبتى



لقد أدركنا منذ البداية
أن تكوين ثقافة المجتمع
تبدأ بتأصيل عادة
القراءة، وحب المعرفة، وأن
المعرفة وسيلتها الأساسية
هى الكتاب، وأن الحق في
القراءة يماثل تماماً الحق
فى التعليم والحق فى
الصحة.. بل الحق فى
الحياة نفسها.

سوزان مبارك

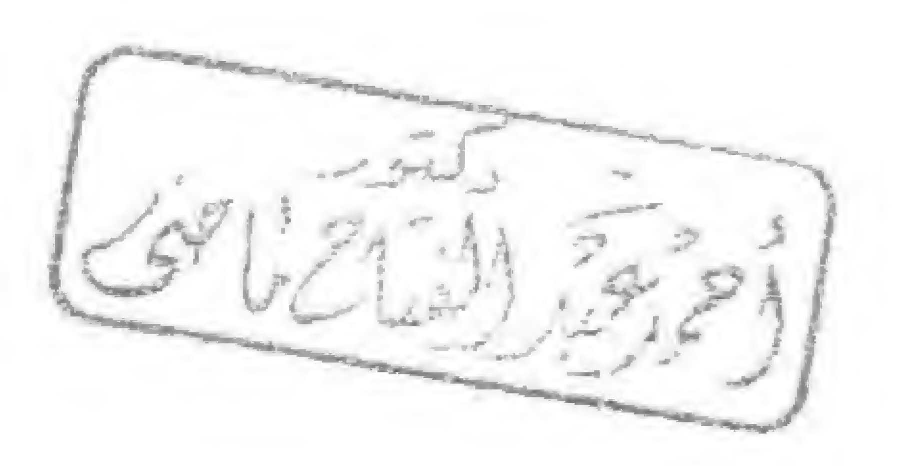
١٥٠
قرش

الفهرس

نزار قبانى

القصائد السياسيه

(مختارات)



تزوجتك أيتها الحرية

كان لدى بلاط نساء

فيه جميلات الدنيا

فالعربية

والرومية

والتركية

والكردية

كان بقصرى لعب صنعت فى باريس

وجيش من قطط شامية...

كنت الرجل الأوحد فى التاريخ..

فلا أولاد.. ولاأحفاد.. ولاذرية

كنت أمير العشق..

وكنت أسافر يوما فى الأحداق الخضر..

ويوما فى الأحداق العسلية..

كان هناك العطر الأسود..

والأمطار الأولى

والأزهار الوحشية..

كان هناك عيون

تسبح مثل طيور النورس فى دورتى الدموية

كان هناك شفاة مفترسات كالأصداف البحرية..

كان هناك سمك حى تحت الإبط

وثمة رائحة بحرية..

كان هناك نهود تقرع حولى مثل طبول أفريقية

إنى قديس الكلمات..

وشيخ الطرق الصوفية..

وأنا أغسل بالموسيقى وجه المدن الحجرية

وأنا الرائى.. والمستكشف..

والمسكون بنار الشعر الأبدية..

كنت كموسى

أزرع فوق مياه البحر الأحمر ورداً

كنت مسيحا قبل مجئ النصرانية

كل امرأة أمسك يدها تصبح زنبقة نارية

كان هنالك.. ألف إمرأة فى تاريخى

إلا أنى لم أتزوج بين نساء العالم

إلا الحرية

•••

من علمنى كيف أقشر كالتفاحة قلبى

حتى تأكل منه نساء الأرض جميعا

كنت له عبدا

من علمنى كيف أؤسس وطنا

يشبه شكل القلب

وشكل الشريان التاجى

وشكل العصفور الدورى

وشكل التفاح الشامى

لكنت له أيضا عبدا

من علمنى كيف أحب امرأة

حتى حد الهذيان

من علمنى كيف بوسع إمرأة

دون سواها

أن تتحرك مثل السمك الأحمر

داخل شريانى

من علمنى كيف بوسع امرأة

دون سواها

أن تخترع الشعر

وترسم شكلَ الأزمان

من علمنى كيف تصير امرأة

دون سواها
أقوى نوع من أنواع الإدمان
من علمنى ما لم أعلم
كنت له دوما عبدا.
من علمنى أول درس
فى أحوال الوجد
من علمنى كيف أواصل عشقى
منذ المهد وحتى اللحد
من علمنى أن أستخرج ذهبا
من أودية النهد
من علمنى أن حبيبى
نوع من أعشاب البحر
وفرع من عائلة الورد
من سمانى ملكا فى تاريخ العشق
فقد أعطانى كل المجد

من ثقفنى

من شرفنى بهوى امرأة

كنت له دوما عبدا

من علمنى كيف أقول كلام

يشبه رائحة الحنطة

أو يشبه لون الخبز الطالع منْ عند الفران

من علمنى أن أتزوج هذا الشعر

وأرفض أى زواج للسلطة

وعقود اللؤلؤ والمرجان

من علمنى كيف أواجه بالأزهار

وبالأشعار هراوات الشرطة

من علمنى ألا أعمل سائس خيل عند الوالى

أو جارية ترقص فى حفلات الباب العالى

من علمنى أن لا أحنى قامة شعرى

كنت له دوما عبدا

من علمنى كيف أكنّس هذا القبح

وأزرع فى الأرض الريحان

من علمنى كيف سأنقذ هذا المركب

من أنواء البحر وأسنان الجرذان

من أعطانى عود ثقاب

حتى أحرق كل أكاذيب التاريخ

لكنت له عبدا

من علمنى أن أنقض على الأشياء

وأرفع رايات العصيان

من علمنى كيف أسافر ضد الموجة

من علمنى كيف تكون الكلمة سيفا

فى، وجه السلطان

من أهدانى سفر الثورة

كنت له دوما عبدا

من علمنى كيف أموت على أوراقى

حتى ينتصر الإنسان

من علمنى كيف أكوّر قلبى

مثل رغيف الخبز

لكى أطعمه للإنسان

من علمنى كيف أزيل الكلفة

بين كتاب الشعر وأفواه الفقراء

من علمنى كيف أكون بسيطا

مثل العشب ومثل الماء

من علمنى أن أستعمل لغة

فيها نزوات الأطفال

وفيها إحساس البسطاء

من علمنى أن الشعر رسالة حب نكتبها للناس

وليس هنالك شعرا لايتوجه للإنسان

من علمنى هذه الحكمة فى تعريف الشعر

لكنت له دوما عبدا.

في الشعر

١

هُوَ شَاعِرْ
إنه يثقب الفضاءْ
بإبرةِ الشّعْر...

■■

٢

هُوَ شَاعِرْ
البرق منزله
والبحر سيرته الذاتيّةْ...

■■

٣

هُوَ شَاعِرْ
كلّما خرج من فندق كلماتِهْ
وجد سيّارة البوليس بانتظارِه...

٤

هُوَ شَاعِرْ
ينزلُ من بطن أُمِّهْ
وفى يده..
عريضةُ احتجاجْ
وعلبةُ كبريتْ....

٥

هُوَ شَاعِرْ
يخرقُ كُلَّ يومٍ ذاكرتَهْ
ويتدفأُ عليها...

٦

هُوَ شَاعِرْ
يركبُ درّاجةَ الطفُولَةْ
ويمدُّ لسانَهْ
لكُلِ إشارات المُرورْ..

٧

هُوَ شَاعِرْ
إنَّهُ يُقْنِعُ الأشياءْ
أنْ تغيِّرَ عَادَاتِها...

٨

هُوَ شَاعِرْ
يُعلِّمُ أشجارَ الغابَةْ
أنْ تسيرَ في مُظاهرةٍ
من أجلِ الحُرِّيَّة....

٩

هُوَ شَاعِرْ
كُلَّما ظَهَرَ في أُمْسِيَةٍ شعريَّةْ
أطلقوا عليه القنابل
المُسيِلة للأحزانْ...

١٠

هُوَ شَاعِرْ
تزوَّج الحرِّية زَوَاجاً مدنَّياً
وأنجَبَ أولاداً...
شَعرُهُمْ بلون السنابلْ
وعُيونهُمْ بلون البحرْ...

١١

هُوَ شَاعِرْ
لذا، يطلُبونَ منه، أن يقدّمَ تقريراً
عن عَدَدِ أصابعهْ..
كُلَّ يَوْم...

١٢

هل الشِّعْرُ،
هُوَ ديوانُ العَرَبْ
أم هو محكمتُهمْ العسكَّريةْ؟؟

١٣

باستثناء بعضِ الكبارْ
في تاريخنا الشعرىْ
فإنَّ الشعراءَ العَرَبْ
كَتَبوا قصيدةً واحدَةْ
ووقَّعوا عليها جميعاً
بالأحْرُفِ الأولى...

١٤

في تاريخ الشّعْر العربى
ثَّمةَ مراحِلُ هابطةْ
كانَ فيها الشُّعَراءْ
ينزلونَ في فُنْدقٍ واحدْ..
ويأكُلونَ من صحنٍ واحدْ..
ويناموُنَ في سريرٍ واحدْ...
وينجبُونَ أولاداً متشابهينْ.

١٥

فى الشّعرْ..

لسنا بحاجةٍ إلى الباسِ موحّدْ

وقماش موحّدْ..

ولونٍ موحّدْ..

فالشعراء ليسوا جنوداً.. ولاممّرضاتْ

ولامُضيفات طيرانْ...

إنَّ اللباسَ المُوحّدَ فى الشّعرْ

سيجعلُ من الشعراء العَرَبْ

فريقاً لكُرة القَدَمْ..

١٦

الشاعرُ الحديثْ..

هو الذى يستقبلُ من الجَوْقة الموسيقيَّةْ

وسلْطة الإيقاعِ العامْ..

لمؤلفَ قصيدتهُ الخاصَّةْ.

القصيدة تطرح أسئلتها

يَسُرُّني جدّاً..

بأن ترعبَكُمْ قصائدي

وعندكُم، مَنْ يَقطعُ الأعناقْ..

يُسْعدُني جدّاً.. بأن ترتعشوا

من قَطرَةِ الحبر..

ومن خَشْخَشَةِ الأوراقْ..

بل دَوْلَةً.. تُخيفُها أُغْنيةْ

وكْلمة من شاعرٍ خلاّقْ..

ياسُلْطةً..

تَخْشَى على سلْطتِها

مِن عَبَقَ الوردِ.. ومن رائحةِ الدُرّاقْ

يادَوْلَةً..

تطلبُ من قُواتها المُسلَّحَةْ

أنْ تلقىَ القَبْضَ على الأشواقْ....

يُطربُني..

أن تُقْفُلوا أبوابَكمْ

وتُطْلقُوا كلابَكُمْ

خوفاً على نسائكمْ

من مَلِكِ العُشّاقْ...

يُسْعِدُني

أن تجعلُوا من كُتُبى مَذْبَحَةً

وتَنْحَرُوا قصائدى

كأنّها النِيَاقْ..

فسوفَ يغدو جَسَدَى

تكّيةً.. يزورُها العُشّاقْ

يَقْرَؤُنى رقيبُكُمْ..
وهُوَ يَسُنُّ شَفْرَةَ الحِلاقَهْ.
كأنَّما رقيبُكُمْ
ـ فى أصله ـ حَلاَّقْ...
ليس هناكَ سُلْطَةٌ
يمكنُها أن تمنعُ الخُيولَ من صَهيلِها
وتمنعَ العُصْفورَ أن يكتشفَ الآفاقْ
فالكلماتُ وحْدَها..
ستربحُ السباقْ...
ستقْتُلُونَ كَاتباً..
لكنَّكُمْ لَنْ تقتُلوا الكِتابَهْ..
وتذبَحُونَ، رُبَّما، مُغنّيا
لكنَّكُمْ لن تذبحُوا الرَبابَهْ...
تسْعُ وتسْعونَ امْرأهْ...
تَقْبَعُ فى حريمكُمْ.

وكُلُّ شيءٍ جاهزْ
وثيقةُ النكاحِ.. أو وثيقةُ الطَلاَقْ..
والخمرُ في كؤوسكُمْ
والنارُ في الأحداقْ
وتَمنعُونَ دائماً قصائدي
حرْصاً على مكَارِمِ الأخلاقْ!!.
إنْتظرُوا زيَارتي..
فسوفَ آتيكُمْ بدون موعدٍ
كأنني المَهْديُّ
كأنني البُرَاقْ...
إنْتظرُوا زيَارتي..
فلستُ محتاجاً إلى تأشيرةٍ
ولستُ محْتاجاً إلى مُعَرِّفْ
فالناسُ في بيوتهمْ يعلِّقونَ صورتي..
لا صُورَةَ السُلطانْ..

والناسُ، لو مررتَ فى أحلامِهِمْ
ظَنُّوا بأنى (قمرُ الزمانْ)....
حينَ يمرُّ موكبُ الخليفةْ
فى زحمةِ الأسواقْ
يُبَشِّرُ الأطفالُ أُمهاتِهِمْ
لقد رأينا...
(طائرَ اللقْلاَقْ)....
إنتظرُونى.. أيُّها الصيارفَهْ
يامَنْ بنيْتمْ من فُلوسِ النَفطِ..
أهراماً من النفَاقْ..
يامَنْ جعلتُمْ شعْرَنا.. نثْرَنا..
دُكَّانة ارتزاقْ..
إنتظرُوا زيارتى..
فالشعرُ يأتى دائماً
من عَرقِ الشعْبِ، ومن أَرغفةِ الخبْزِ،

ومن أقْبية القَمْعِ..
ومن زَلازِل الأعماقْ..
مهما رفعتَمْ عالياً أسْوارَكُمْ
لَنْ تمنعوا الشَمْسَ من الإِشْراقْ...

١٩٨٩/١/٣٠

مَنْ علَّمني حُبّاً.. كنْتُ له عَبْداً

١

مَنْ علَّمني
كيفَ أُقَشّرُ كالتُفّاحة قلبي
حتى تأكُلَ منه نساءُ الأرضِ جميعاً
كنتُ له عبْداً..

٢

مَنْ علَّمني
كيفَ أُؤسّسُ وطناً
يُشْبهُ شَكْلَ القلبِ،
وشَكْلَ الشْريانِ التاجي

وشَكْلَ العصْفُورِ الدُورِىِّ،
وشَكْلَ التُفَّاحِ الشامِىِّ،
لكنتُ لهُ أيضاً عبْداً...

٣

مَنْ علَّمنى
كيفَ أُحبُّ امرأةً حتَّى حدَّ الهَذَيانِ
مَنْ علَّمنى
كيفَ بوسْعِ امرأةٍ دُونَ سواها
أَنْ تتحرَّكَ مثلَ السمَكِ الأحمرِ داخل شريانى
مَنْ علَّمنى
كيفَ بوسْعِ امرأةٍ دُونَ سِواها
أَنْ تخترعَ الشعْرَ
وترسُمَ شَكْلَ الأَزْمانِ..
مَنْ علَّمنى
كيفَ تصيرُ امرأةٌ دُونَ سِواها

أَقوى نَوْعٍ من من أنواعِ الإِدْمَانِ
مَنْ علَّمنى مالأأَعْلَمُ
كنتُ له دوماً عبْداً..

٤

مَنْ علَّمنى
أَوَّلَ دَرْسٍ فى أحوالِ الوَجْدْ
مَنْ عَلمنى
كيفَ أُواصِلُ عِشْقِى
منذُ المَهْدِ.. وحتى اللَّحدْ..
مَنْ عَلمنى أَنَّ حبيبى
نوعٌ من أعشابِ البحرِ
وفَرْعٌ من عائلة الوردْ
مَنْ سَمَّانى مَلكاً فى تاريخ العِشْقِ،
فقد أعطانى كَلَّ المجدْ
مَنْ ثقفنى..

مَنْ شرَّفنى بهوى امرأةٍ
كنتُ له دوماً عبْدا...

٥

مَنْ علَّمنى
كيفَ أقولُ كلاماً يُشْبهُ رائحةَ الحنْطةْ
أو يُشْبهُ لونَ الخبْزِ الطَالعِ من عند الفرَّانْ
منْ علَّمنى
أَن أَتَزوَّجِ هذا الشعْبَ،
وأَرفُضَ أَىَّ زواجٍ بالسُلْطةُ
وعُقودَ اللؤلؤُ والمَرْجَانْ..
مَنْ علَّمنى
كيفَ أُواجُه بالأزهارِ، وبالأَشعارِ،
هَرَاواتِ الشُرْطَةْ
مَنْ علَّمنىِ
أَنْ لاأعمل سائسَ خيلٍ عند الوالى

أو جاريةً ترقُصُ فى حَفَلَاتِ (البابِ العالى)
مَنْ علَّمنى
أَنْ لا أحنىَ قامةَ شعْرى
كنتُ لهُ دوماً عبْدَا..

٦

مَنْ علَّمنى
كيفَ أُغيِّرُ.. كيفَ أُدَمِّرُ..
كيفَ أُكنِّسُ هذا القُبْحَ،
وأَزرَعُ فى الأرْضِ الرَيْحانْ
مَنْ علَّمنى
كيفَ سأُنقذُ هذا المركبَ،
مِن أَنواءِ البَحْرِ، وأسنانِ الجُرْذانْ
من أعطَانى عُودَ ثقابٍ
حتى أُحرِق كلَّ أكاذيبِ التاريخ،
لكنتُ لهُ دوماً عبْدَا..

٧

مَنْ علَّمنى
أَنْ أَنقضَّ على الأَشياءَ
وأَرْفعَ راياتِ العصْيانْ
مَنْ علَّمنى
كيفَ أُسافرُ ضدَّ الموجِ.. وضدَّ الريحِ.
وأُشعلُ فى البحر النيرانْ
مَنْ علَّمنى
كيفَ تكونُ الكلْمةُ سيْفاً
فى وجه السُلْطانْ
من أهدانى سفرَ الثورة،
كنتُ له دوماً عبْداً..

٨

مَنْ علَّمنى
كيفَ أَموتُ على أوراقى
حتى ينتصر الإنسان

مَنْ علمنى
كيفَ أُكَوِّرُ قلبى مثلَ رغيفِ الخبز،
لكى أُطعِمَهُ للإِنسانْ.
مَنْ علَّمنى
كيفَ أُزيلِ الكلْفَةَ بين كَتابِ الشعرْ،
وأفواه الفُقَراءْ
مَنْ علَّمنى
كيفَ أكُونُ بسيطاً
مثلَ العُشْبِ،
ومثلَ الماءْ..
مَنْ علَّمنيِ
أَنْ أَستعمل لغةً
فيها نزَوَاتُ الأطفال..
وفيها إحسَاسُ البُسَطَاءْ..
مَنْ علَّمنى

أَنَ الشعْرَ، رسالةُ حُبٍّ نكتُبُها للناس،
وليسَ هنالك شعْرٌ لايتوجَّهُ للإنسانْ.
مَنْ علَّمنى هذى الحكمة فى تعريفِ الشعْرِ..
لكنتُ لهُ دوماً عبْدَا...

١-٢

كتابات على جدران المنفى

ياسيدتى :

كيف أصور هذا العصر اللامعقول ،

نسيت الوصفا ..

كنت أظن الكلمة بيتى

فإذا بهم .. سرقوا الباب

وسرقوا السقفا

سرقوا الورق الأبيض منا

سرقوا الحرفا

ماذا نأكل ؟

ماذا نشرب ؟

كيف نعبر عن أنفسنا

إنا نأكل ياسيدتى قمعا

إنا نشرب ياسيدتى خوفا

أين ستذهب ياسيدتى ؟

إن عبور الشارع خطر

إن ركوب المصعد خطر

والسيارة خطر

والطيارة خطر

والدراجة خطر

ليس هناك مكان

يجلس فيه الكاتب ،

ليس هناك مقهى..

نصف الجملة فى الجبانة

نصف الفكرة فى المستشفى..

■■

ياسيدتي:

ماذا يبقى من إنجيل الثورة،

حين تقرر قتل مغنيها؟

ماذا يبقى من كلمات الثورة،

حيث ستمضغ أكباد بنيها

ماذا يبقى؟

حين تخاف الدولة من رائحة الورد،

فتحرق كل مراعيها..

ماذا يبقى من فلسفة الثورة

حين تخاف طلوع الشمس،

وتنتف ريش كناريها؟..

ماذا يبقى؟

ماذا يبقى؟

ماذا يبقى؟

ماذا يبقى حين تبول الثورة فوق كلام نبيها؟..
ياسيدتى
أطلب عفوك إن لم أكتب فى عينيك قصيدة شعر
إن العازف نسى العزفا
كيف أحبك ياسيدتى؟
إن مباحث أمن الدولة
تلقى القبض على الأحلام..
وترسل أهل العشق إلى المنفى..
ياسيدتى.. ياسيدتى
كنت قديما اقرأ جسمك
سطرا سطرا..
حرفا حرفا
كنت قديما أشعل فى نهديك النار
وأزرع بينهما سيفا
أما اليوم فأصبح شكل النهد يشابه أسوار المنفى

ياسيدتى.. يالؤلؤتى..

ياواحدتى

كيف أمارس فعل الحب

وطعم الجنس له طعم المنفى

■■

ياسيدتى

كيف أقاوم هذا العصر المملوكى، وهذا الحقد النيرونى،

وهذا القتل المجانى،

وهذا العنفا؟

كيف سأوقف هذا المد اللاقومى،

وهذا الفكر التجزيئى،

وهذا المطر الكبريتى،

وهذا النزقا؟

كيف نعبر عن مأزقنا؟

كيف نعبر عما يكسر فى داخلنا؟

كيف سنتلو آى الذكر على جثتنا؟
إن مباحث أمن الدولة تطلب منا
أن لانضحك
أن لا نلمس كف إمرأة..
أن لاننجب ولدا..
أن لا نرسل أى خطاب أن لا نقرأ أى كتاب
إلا عن أحوال الطقس،
وإلا عن أسرار الطبخ،
فتلك قوانين المنفى...
ياسيدتى:
ماذا أفعل لو جاءتنى أمى فى الأحلام؟
ماذا أفعل لو نادانى فل دمشق..
وعاتبنى تفاح الشام؟
ماذا أفعل لو عاودنى طيف أبى؟
فالتجأ القلب إلى عينيه الزرقاوين

كسرب حمام

ياسيدتى:

كيف أقولك شعرا؟

كيف أقولك نثرا؟

كيف أقولك، ياسيدتى من دون كلام؟

ياسيدتى:

كيف أبشر بالحرية..

حين الشمس تواجه حكما بالإعدام؟

كيف سآكل من خبز الحكام..

وأولادى من غير طعام؟

ياسيدتى:

إنى رجل لم يتخرج من بارات السلطة،

فى أحد الأيام...

أو أشغلت وظيفة قرد..

بين قرود وزارات الإعلام!!

ياسيدتى..

إنى رجل لاأتوارى خلف حروفى

أو أتخبأ تحت عباءة أى إمام..

ياسيدتى: لاتهتمى

فأنا أعرف كيف أكون كبيراً..

فى عصر الأقزام

ياسيدتى: لاتهتمى

سوف أظل أحبك..

حتى أفتح نفقاً تحت البحر..

وأثقب حيطان المنفى

لاتهتمى

لاتهتمى..

هوامش على دفتر النكسة

(١)

أُنعى لكُمْ، يا أصدقائى، اللُّغَةَ القديمَةْ
والكُتُبَ القديمةْ
أُنعى لكُمْ:
كلامنا المَثْقُوب كالأحذية القديمةْ
ومفردات العُهرِ، والهجاءِ، والشتيمَةْ..
أُنعى لكُمْ..
أُنعى لكُمْ..
نهاية الفكرِ الذى قادَ إلى الهزيمةْ.

(٢)

مالحةٌ فى فمنا القصائدْ

مالحةٌ ضفائرُ النساءْ

والليلُ، والأستارُ والمقاعِدْ

مالحةٌ أمامنا الأشياءْ

(٣)

يا وطَنى الحزينْ

حَوَّلتنى بلحظةٍ

من شاعر يكتبُ شعرَ الحبِّ والحنينْ

لشاعرٍ يكتبُ بالسكينْ..

(٤)

لأنَ ما نُحسُّهُ

أكبر من أوراقنا..

لابُدَّ أن نَخْجَلَ من أشعارِنا

(٥)

إذا خسرْنَا الحربَ، لا غَرابةْ
لأننا ندخُلها
بكل ما يملكُهُ الشرْقىُّ من مواهبِ الخطابَةْ
بالعنْتريَّات التى ما قَتَلَتْ ذُبَابَةْ
لأننا ندخُلها
بمنطق الطبْلةِ والرَبَابَهْ..

(٦)

السرِ فى مأساتنا
صراخُنا أضخَمُ من أصواتِنا
وسيفُنا..
أطْولُ من قاماتِنا..

(٧)

خُلاصةُ القضيةْ
توجزُ فى عبارَةْ

لقد لبسْنَا قشْرَةَ الحضارةْ

والروحُ جاهليَّةْ..

(٨)

بالناى والمزْمارْ

لا يحدثُ انتصارْ..

(٩)

كلَّفْنَا ارتجالُنَا

خمسين ألف خيمةٍ جديدةْ..

(١٠)

لا تَلْعَنُوا السَّمَاءْ

إذا تخلَّتْ عنكُمْ

لا تَلْعَنُوا الظُروفْ

فالله يُؤتى النَصْرَ من يشاءْ

وليسَ حدَّاداً لديكُمْ...

يَصْنَعُ السيوفْ..

(١١)

يُوجعُنى أن أسمَعَ الأنباء فى الصبَاَحْ
يُوجعَنى..
أن «أَسَمَعَ النُباحْ..

(١٢)

ما دَخَلَ اليهودُ من حدُودنا
وإنَّما..
تَسَرَّبُوا كالنمْلَ من عُيوبِنَا..

(١٣)

خمسةُ آلاف سَنَةْ..
ونحنُ فى السرْدَابْ
ذقُونُنَا طويلةٌ
نقُودَنا مجهولَةٌ

عيوننا مرافئُ الذُبابْ..

يا أصدقائى:

جَرِبُوا أن تكسروا الأبوابْ

أن تغسلوا أفكارَكُمْ

وتغسِلُوا الأثوابْ

يا أصدقائى:

جربوا أن تقرأوا كتابْ..

إن تكتُبُوا كتابْ..

أن تزرعُوا الحُرُوفَ..

والرُمَّانَ..

والأعْنَابْ..

أن تبْحُرُوا إلى بلاد الثلج والضَبَابْ

فالناسُ يجهلونكُمْ..

فى خارج السرْدَابْ

الناسُ يحِسبُونَكَمْ

نوعاً من الذِئابْ..

(١٤)

جلُودُنا ميتةُ الإحساسْ
أرواحُنا تَشكو من الإفلاسْ
أيامُنا تدورُ بين الزارِ..
والشَطْرنْجِ..
والنُعَاسْ..
هَلْ (نحنُ خَيْرَ أُمةٍ أُخْرِجَتْ للناسْ) ؟؟

(١٥)

كانَ بوُسعِ نفْطنا الدافقِ فى الصحارى
أن يستحيل خنجراً..
من لهبٍ ونارِ
لكنّهُ..
واخجْلَةَ الأشرافِ من قُريشٍ
وخجلةَ الأحرار من أوسٍ ومن نِزارِ
يُراقُ تحتَ أرجلُ الجوارى..

(١٦)

نركُضُ فى الشوارعِ

نحملُ تحتَ إبْطنا الحبَالا

نمارسُ السَحلْ بلا تبصُّرٍ

نُحَطمُ الزجاجَ والأقفالا

نمدحُ كالضفادعِ

نَشْتُمُ كالضفادعِ

نجعل من أقزامنا أبطالا

نجعل من أشرافنا أنْذَالا

نرتجلُ البطولَة ارتجالا

نقعدُ فى الجوامعِ

تُنابلاً، كُسالى

نُشَطِرُ الأبياتَ، أو نؤِلفُ الأمْثَالا

(١٧)

لو أَحَدٌ يمنحنى الأَمَانْ

لو كنتُ أستطيعُ أن أقابلَ السُّلْطَانْ

قلتُ لهُ:

يا سيّدى السُّلْطَانْ

كلابُكَ المفترسَاتُ مزَّقتْ ردائى

ومخبروكَ دائماً ورائى..

عيونُهُمْ ورائى

أُنوفُهُمْ ورائى

أَقدامُهُمْ ورائى..

يستجوبونَ زوجتى..

ويكتُبُونَ عندهُمْ أسماءَ أصدقائى..

يا حضرةَ السُّلْطَانْ

لأننى اقتربتُ من أسواركَ الصمَّاء..

لأننى حاولتُ أن أكشفَ عن حُزْنى وعن بلائى

ضُربتُ بالحذاء..

ارْغمنى جُنْدُكَ أن آكُلَ من حذائى..

يا سيّدى.. يا سيّدى السلطانْ

لقد خسرتَ الحربَ مرتينْ

لأنَّ نصفَ شعبنا ليس له لسَانْ

ما قيمةُ الشعب الذى ليس له لسَانْ؟

لأن نصفَ شعبنا محاصرٌ كالنَمْل والجُرْذَانْ

فى داخل الجدرانْ..

لو أحدٌ يمنحُنى الأمانْ

من عسكر السُلطانْ

قلتُ له: يا حضرةَ السُلْطَانْ

لقد خسرتَ الحربَ مرَّتينْ

لأنَّكَ انفصلتَ عن قضيّة الإنسانْ

(١٨)

لو أننّا لم ندفن الوحدةَ فى التُرَابْ
لو لم نُمزّقْ جسمَها الطرىّ بالحرابْ
لو بَقيتْ فى داخل العيون والأهدابْ
لما استباحتّ لحمَنا الكِلابْ..

(١٩)

نُريدُ جيلاً غاضباً
نُريدُ جيلاً يُفْلَحُ الآفاقْ
وينكُشُ التاريخَ من جُذُوره
وينكُشُ الفكرَ من الأعماقْ
نريد جيلاً قادماً مختلفَ الملامحْ
لا يغفرُ الأخطاءَ.. لا يُسامحْ
لا ينحنى.. لا يعرفُ النفاق..
نريدُ جيلاً، رائداً، عملاقْ..

(٢٠)

يا أيُّها الأطفالْ:

من المحيط للخليجِ، أنتُمْ سنابلُ الآمَالْ

وأنتُمُ الجيلُ الذى سيكسرُ الأغلالْ

ويقتلُ الأفيونَ فى رؤوسنا

ويقتلُ الخيالْ..

يا أيُّها الأطفالُ:

أنتُمْ - بَعْدُ - طيِّبُونْ

وطاهرونَ، كالندَى والثلج، طاهرونْ

لا تقرأوا عن جيلنا المهزومِ، يا أطفالْ

فنحنُ خائبونْ

ونحنُ، مثلُ قشْرة البطِّيخ، تافهونْ

ونحنُ منْخُورونَ..

منْخُورونَ..

منْخورونَ.. كالنعَالْ..

لا تقرأوا أخبارَنا

لا تقبلوا أفكارَنا

لا تقتفوا آثارَنا

فنحنُ جيلُ القيء.. والزُهْريّ.. والسُعَالْ..

ونحنُ جيل الدجَلِ، والرقصِ على الحبالِ

يا أيها الأطفال:

يا مطر الربيع، يا سنابلَ الآمالْ

أنتُمْ بذورُ الخَصْب فى حياتنا العقيمةَ

وأنتم الجيل الذى سيهزمُ الهزيمةَ..

١٩٦٧

لقد مر عشرون عاماً علينا

لقد مر عشرون عاماً

ولا نجم يسطع

لا أرض تحبل

لا قمح يطلع من تحت هذا الركام

ولا غيمة ماطرة

فهل نسى الشارع العربى الكلام

وصرنا شعوباً بلا ذات

لماذا الجماهير فى المحيط وبين الخليج

تجوب الأزقة كالقطط الخائفة

وأين هو الشارع العربى

الذى كان يمضغ لحم الطغاة

ويخترع العاصفة

وكيف خرجنا من الحلم الوحدوى الكبير

لندخل ثقباً صغيراً يسمونه الطائفة

لقد مر عشرون عاماً علينا

ونحن وقوف كأعمدة الكهرباء

نحدق مثل البهاليل نحو السماء

تمر القطارات من قربنا

تمر الحضارات من فوقنا

تمر الزلازل من تحتنا

فلا نتأمل شيئاً

ولا نتعلم شيئاً

ولا نتذكر شيئاً

ولا نتحمس حين مجىء الربيع

ولا نتأثر حين رحيل الشتاء
فلا الله يرضى المكوث لدينا
ولا الأنبياء.
لقد مر عشرون عاماً علينا
لقد مر عشرون عاماً
وليس هنالك من يطرح الأسئلة
وليس هناك مسيح.. ولا جلجلة
ونحن هنا نتناسل
مثل الزواحف فى الغرف المقفلة
فأين هو الشارع العربى
الذى كان يبصق ناراً
ولا يعرف الفرق بين القصيدة والقنبلة
لقد مر عشرون عاماً
ونحن توابيت مصنوعة من رخام
نبايع أى عقيد يجىء
ونلعق جزمة أى نظام

ونلبس جلد النمور ونحن حمام

ونزعم أنّا جبالا

ونحن نطير بكل اتجاه كريش النعام

لقد مر عشرون عاماً علينا

لقد مر عشرون عاماً يحاصرنا الروم

من كل صوب

وليس هنالك ثأر

وليس هنالك من يثأرون

ويسقط نخل العراق جريحاً

ولا صوت يثقب أعماق هذا الظلام

ولا شيء يطلع من هذه الأرض

إلا الطباق

وإلا الجناس

إلا ألاعيب علم الكلام.

المثّلون

(١)

حينَ يصيرُ الفكْــرُ فى مدينةٍ

مُسَطَّحًا كَحَدْوةِ الحصَانْ

مُدوّراً كَحدوةِ الحصانْ

وتستطيعُ أىُّ بندقيةٍ يرفعُها جبانْ

أن تسحقَ الإنسانْ

حين تصيرُ بلدةٌ بأسْرها

مَصْيدةً.. والناسُ كالفئرانْ

وتصبحُ الجرائدُ المُوَجَهَةْ

أوراقَ نَعْىٍ تملأُ الحيطانْ

يموتُ كلُّ شىءْ..

يَموتُ كلُّ شىءْ..

الماءُ، والنباتُ، والأصواتُ، والألوانْ

تهاجرُ الأشجارُ من جذُورها

يهربُ من مكانه المكانْ

وينتهى الإنسانْ

(٢)

حينَ يصيرُ الحرْفُ فى مدينةٍ

حَشيشة يمنعها القانونْ

ويصبحُ التفكيرُ

والأفيونْ..

جريمة يطالُها القَانُونْ..

حينَ يصيرُ الناسُ فى مدينةٍ
ضفادعاً مفقوءةَ العيونْ
فلا يثورونَ ولا يشكُونْ
ولا يغنونَ ولا يبكونْ
ولا يموتونَ ولا يحيونْ
تحترق الغاباتُ، والأطفالُ، والأزهارْ
تحترقُ الثمارْ
ويُصبحُ الإنسانُ فى موطنهِ
أذلَّ من صَرْصَارْ..

(٣)

حينَ يصيرُ العدلُ فى مدينةٍ
سفينةً يركُبها قُرْصانْ
ويصبحُ الإنسانُ فى سريرهِ
مُحاصراً، بالخوف والأحزانْ

حينَ يصيرُ الدمعُ فى مدينة
أكبر من مساحة الأجفانْ
يسقطُ كلُّ شىءْ
الشمسُ
والنجومُ..
والجبالُ..
والوديانْ..
والليل، والنهارُ، والبحارُ، والشطآنْ..

(٤)

حينَ يصيرُ الحُكمُ فى مدينةٍ
نوعاً من البَغاءْ
ويصبحُ التاريخُ فى مدينةٍ
مَمْسَحَةً..
والفِكْرُ كالحذاءْ

حينَ تصيرُ نسْمةُ الهواءْ

تأتى بمرسومٍ من السُلْطَانْ.

وحبَّةُ القمح التى نأكُلُها

تأتى بمرسومٍ من السُلْطَانْ

وقطرةُ الماء التى نشربُها

تأتى بمرسومٍ من السُلْطَانْ

حين تصيرُ أمةٌ بأسرها

ماشية تعْلَفُ فى زريبة السُلْطَانْ

يختنقُ الأطفالُ فى أرحامهمْ

وتجهضُ النساءْ..

وتسقطُ الشمسُ على ساحاتنا

مَشْنَقَةً سوداءْ..

(٥)

مَتى سَترحلونْ؟

المسرحُ انهارَ على رؤوسكُمْ

متى سترحلونْ؟

والناسُ في القاعة يشتمونَ.. يبصقُونْ..

كانت فلسطينُ لكنْ

دجاجةً، من بيْضِها الثمينِ تأكُلُونْ..

كانت فلسطينُ لكَمْ

قميصَ عثمانَ الذي به تتاجرونْ

طُوبَى لكُمْ..

على يَدْيكُمْ أصبحتْ حدودُنا

من وَرَق..

فألفُ تشْكرونْ..

على يَدْيكُمْ أصبحت بلادُنا

امرأةً مُباحَةً..

فألفُ تشكُرَونْ..

(٦)

حربُ حزيرانْ انتهتْ..

فكُلُّ حربٍ بعدَها، ونحنُ طيبُونْ..

أخبارُنا جيدةٌ

وحالُنا ـ والحمدُ لله ـ على أحسن ما يكونْ..

جَمْرُ النراجيل.. على أحسنِ ما يكُونْ

وطاولاتُ الزهرِ ـ مازالتْ ـ

على أحسن ما يكونْ

والقمرُ المزروعُ فى سمائنا

مُدَوَّرُ الوجهِ، على أحسنِ ما يكُونْ..

وصوتُ فيروزَ،

من الفردوس يأتى،

«نحنُ راجعونْ» ..

تَغَلْغَلَ اليهودُ في ثيابنا

و«نحنُ راجعونْ» ..

صاروا على مترْينِ من أبوابنا

و«نحنُ راجعونْ» ..

ناموا على فراشنا

و«نحنُ راجعونْ» ..

وكل ما نملكُ أن نقولهُ

«إنا إلى الله لرَاجِعونْ» ..

(٧)

حربُ حزيران انتَهتْ..

وحالُنا ـ والحمد لله ـ على أحسن ما يكُونْ

كُتّابُنا على رصيف الفكر عاطِلونْ

من مطبخ السلطان يأكُلْونْ

بسيفه الطويل يضربونْ

كُتَّابُنا، مارسوا التفكيرَ من قرونْ

لم يقتلُوا..

لم يصلبُوا..

لم يقفوا على حدود الموت والجنونْ

كُتَّابُنا يحيونَ في إجازةٍ

وخارجَ التاريخ يسكنونْ..

حربُ حزيرانَ انتهتْ

جرائدُ الصباح، ما تغيرتْ

الأحرفُ الكبيرةُ الحمراءُ.. ما تغيرتْ

الصورُ العاريةُ النكراءُ.. ما تغيرتْ

والناسُ يلهثونْ..

تحت سياط الجنْس يلهثونْ

تحت سياط الأحرف الكبيرة الحمراءِ.. يسقُطونْ..

الناسُ كالثيرانُ في بلادنا..

بالأحمر الفاقعِ يؤخَذونْ..

(٨)

حربُ حزيرانَ انتهتْ..

وضاع كلُّ شيءٌ..

الشرفُ الرفيعُ،

والقلاعُ، والحصونْ

والمالُ، والبنونْ..

لكنّنا...

باقُون في محطّة الإذاعةْ..

«فاطمةٌ تُهدى إلى والدها سلامَها..»

«وخالدٌ يسألُ عن أعمامهِ في غزّةٍ..

وأين يقطُنونْ؟»

«نفيسةٌ قد وضعتْ مولودَها..»

«وسامرٌ حازَ على شهادة الكفاءةْ..»

«فطمئنونا عنكُمُ..

«عنوانُنا المُخيَّمُ التسعونْ..»

(٩)

حربُ حزيرانَ انتهتْ..

كأنَّ شيئًا لم يكُنْ..

لم تختلف أمامنا الوجوهُ والعُيونْ

محاكمُ التفتيش عادتْ.. والمفتشونْ..

والدونكشوتيّونَ.. مازلوا يُشخِصونْ

والناسُ من صُعُوبة البكاء..

يضحكونْ..

ونحن قانعُونْ..

بالحرب قانعُونْ.. والسلْم قانعُونْ..

بالحرّ قانعونْ.. والبَرْد قانعونْ..

بالعقم قانعونْ.. والنَسْل قانعونْ

وكلُّ ما نملكُ أن نقولَهُ:

«إنّا إلى الله لراجعُونْ»..

(١٠)

احترقَ المسرح من أركانه
ولم يمتْ ـ بعدُ ـ الممثّلونْ..

هوامش على دفتر الهزيمة

١٩٩١

(١)

لا حَرِبُنا حربٌ، ولا سلامنا سلام
جميعُ ما يمرُّ فى حياتنا
ليسٍ سوى أفلام...
زواجُنا مرتجلٌ.
وحُبُّنَا مرتجلٌ
كما يكونُ الحبُّ فى بداية الأفلامْ.
ومَوتُنا مُقرّرٌ.
كما يكونُ الموتُّ فى بداية الأفلامْ.

(٢)

لم ننتصرْ يوماً على ذُبابةٍ

لكنها .. تجارةُ الأوهام.

فخالدٌ، وطارقٌ وحمزة،

وعقبة بن نافعٍ،

والزير، والقعقاعُ، والصمصامْ.

مُكدسونَ كُلهمْ ..

في علبِ كُلهمْ ..

في عُلبِ الأفلامْ ..

(٣)

هزيمةٌ ..

وراءها هزيمةٌ ..

وراءها هزيمةٌ ..

كيف لنا أن نربحَ الحربَ

إذا كان الذين مثلوا ..

وصوَّرُوا ..

واخرجُوا ..

تعلموا القتال فى وزارة الإعلامْ ؟؟

(٤)

فى كل عشرينَ سنهْ ..

يأتى إلينا رجلٌ مسلّحْ

ليذبح الوحدة فى سريرها

ويجهض الأحلامْ.

(٥)

فى كل عشرين سنهْ ..

يأتى إلينا حاكم بأمرِهِ

ليحبس السماءَ فى قارورةٍ

ويأخذ الشمسَ إلى منصة الإعدامْ.

(٦)

فى كل عشرين سنهْ

يأتى إلينا نرجسىٌّ عاشق لذاته
ليدَّعى بأنه المهدىُّ، والمنقذُ،
والنقىُّ، والتقىُّ، والقوىُّ
والواحدُ، والخالدُ،
والحكيمُ، والعليمُ، والقديسُ،
والإمامْ ...

(٧)

فى كل عشرين سنهْ
يأتى إلينا رجلٌ مُقامرٌ
ليرهُنَ البلادَ، والعبادَ، والتراثَ،
والشُّروقَ، والغروبَ،
والأشجارَ، والثمارَ،
والذكورَ، والإناثَ،
والأمواجَ، والبحرَ،
على طاولةِ القمارْ ..

(٨)

فى كل عشرين سنهْ
يأتى إلينا رجلٌ معقّدٌ
يحمل فى جيوبه أصابع الألغامْ ..

(٩)

ليس جديداً خوفُنا
فالخوف كان دائماً صديقنا
من يوم كنا نطفةً
فى داخل الأرحامْ.

(١٠)

هل النظامُ، فى الأساس، قاتلٌ؟
أم نحنُ مسؤولونَ
عن صناعةِ النظام؟

(١١)

إن رضى الكاتبُ أن يكون مرةً
دجاجة ..

تعاشر الديوكَ .. أو تبيضُ .. أو تنامْ ..
فاقرأ على الكتابة السلامْ ...

(١٢)

للأدباء عندنا نقابة رسميةٌ
تشبهُ فى تشكيلها
نقابة الأغنامْ ...

(١٣)

ثم ملوكٌ أكلوا نساءهُمْ
فى سالف الأيامْ
لكنَّما الملوكُ فى بلادنا
تعودوا أن يأكلوا الأقلامْ ...

(١٤)

ماتَ ابن خلدون الذى نعرفهُ
وأصبح التاريخُ فى أعماقنا
إشارة استفهامْ!!

(١٥)

هُمْ يقطعونَ النخلَ فى بلادنا
ليزرعوا مكانه ..
للسيد الرئيسِ، غاباتٍ من الأصنام!

(١٦)

لم يطلبِ الخالقُ من عبادِهِ
أن ينحتوا يوماً لهُ
مليون تمثال من الرخامْ!!

(١٧)

تقاطعتْ فى لحمنا خناجر العروبهْ
واشتبكَ الإسلامُ بالإسلامْ ..

(١٨)

بعد أسابيع من الإبحارَ فى مراكب الكلامْ
لم يبق من قاموسنا الحربىِّ
إلا الجلدُ والعظامْ ..

(١٩)

طائرة (الفانتومِ) ..
تنقضُّ على رؤوسنَا
ونحن نستقوى بزُنار (أبى تمامْ) !

(٢٠)

الحربُ ..
لا تربحها وظائفُ الإنشاءْ
ولا التشابيهُ .. ولا النُعوتُ .. والأسماءْ
مقتلنا يكمُنُ فى لسانِنَا
فكم دفعنا غالياً ضريبةَ الكلامْ ...

(٢١)

قد دخلَ القائدُ – بعد نصرِه
لغُرفة الحمامْ ..
ونحن قد دخلنا
لملجأ الأيتامْ !! ..

(٢٢)

نموتُ مجّاناً .. كما الذبابُ في إفريقيا

نموتُ كالذبابْ.

ويدخلُ الموتُ علينا ضاحكاً

ويقفلُ الأبوابْ.

نموتُ بالجملة في فراشنا

ويرفض المسؤولُ عن ثلاجة الموتى

بأن يُفصل الأسبابْ

نموتُ .. في حرب الإشاعاتِ ..

وفي حرب الإذاعاتِ ..

وفي حرب التشابيهِ ..

وفي حرب الكنايات ..

وفي خديعة السرابْ

نموتُ .. مقهورينَ، منبوذينَ، ملعُونينَ ..

منسيينَ كالكلابْ ..

والقائد الساديُّ في مخبئه

يُفلسفُ الخرابْ ...

(٢٣)

مُضحكةٌ مبكيةٌ.

معركة الخليجْ.

فلا النصال انكسرتْ فيها على النصالْ.

ولا الرجال نازلوا الرجال.

ولا رأينا مرةً ..

آشُورَ بانيبالْ

فكلِ ما تبقى .. لمُتحفِ التاريخِ ..

أهرامٌ من النعالْ!!.

(٢٤)

في كلّ عشرين سنهْ.

يجيئنا مهيارْ.

يحملُ في يمنه الشمسَ،

وفى شماله النهارْ.

ويرسمُ الجنات فى خيالنا

ويُنزل الأمطارْ.

وفجأةَ ..

يحتلُّ جيش الروم كبرياءنا

وتسقُطُ الأسوارْ!!.

(٢٥)

فى كل عشرينَ سنهْ.

يأتى امرؤُ القيس على حصانه

يبحثُ عن ملكٍ من الغبارْ ..

(٢٦)

أصواتُنا مكتومةٌ.

شفاهُنا مختومةٌ.

شعوبُنا ليست سوى أصفارْ ..

إنَّ الجنونَ وحدهُ،

يصنعُ فى بلادنا القرارْ ..

(٢٧)

نكذبُ فى قراءة التاريخْ
نكذبُ فى قراءة الأخبارْ.
ونقلبُ الهزيمة الكُبرى
إلى انتصارْ!!.

(٢٨)

يا وطنى الغارقَ فى دمائه
يا أيها المطعُونُ فى إبائهِ
مدينةً مدينةً ..
نافذةً نافذةً ..
غمامةً غمامةً ..
حمامةً حمامةً ..
مئذنةَ مئذنةَ ..
أخافُ أن أقرئكَ السلامْ ..

(٢٩)

يسافرُ الخنجرُ في عروقي يسافرُ
الخنجرُ في رجولتي
هل هذه هزيمة قطريّة؟
أم هذه هزيمة قومية؟
أم هذه هزيمتي؟؟

القدس

بكيتُ .. حتى انتهت الدموعْ
صليتُ .. حتى ذابت الشموعْ
ركعت .. حتى ملني الركوع
سألتُ عن محمدٍ ..
فيك، وعن يسوعٍ
يا قدسُ. يا مدينة تفوحُ أنبياءْ
يا أقصر الدروب بين الأرض والسماءْ

* * *

يا قدسُ .. يا منارة الشرائعْ
يا طفلةً جميلةً محروقةَ الأصابعْ

حزينةٌ عيناك يا مدينة البتولْ

يا واحة ظليلةً مرّ بها الرسولْ

حزينة حجارةُ الشوارعْ

حزينة مآذنُ الجوامعْ

يا قدسُ .. يا مدينة تلتفُّ السوادْ

من يقرعُ الأجراسَ فى كنيسة القيامة؟

صبيحةَ الآحادْ ..

من يحمل الألعاب للأولادْ؟

فى ليلة الميلادْ

* * *

يا قدسُ .. يا مدينة الأحزانْ

يا دمعةً كبيرةً تجولُ فى الأجفانْ

من يوقفُ العدوانْ؟

عليك، يا لؤلؤةَ الأديانْ

من يغسل الدماءَ عن حجارة الجُدرانْ،

مَن ينقذُ الإنجيلْ؟

مَن ينقذُ القرآنْ؟

مَن ينقذ المسيحَ مِمَّنْ قتلوا المسيحْ؟

مَن ينقذُ الإنسانْ؟

يا قدسُ .. يا حبيبتي

غداً .. غداً .. سيزهرُ الليمونْ

وتفرحُ السنابلُ الخضراءُ والغصونْ

وتضحكُ العيونْ

وترجعُ الحمائمُ المهاجرة

إلى السقوفِ الطاهرهْ

ويرجعُ الأطفالُ يلعبونْ

ويلتقي الآباءُ والبنونْ

على رُباكِ الزاهرهْ ..

يا بلدي .. يا بلد السلام والزيتونْ ..

* * *

الغاضبون

يا تلاميذ غزة علمونا بعض ما عندكم

فإنا نسينا

علمونا بأن نكون رجالاً

فلدينا الرجال صاروا عجينا

علمونا كيف الحجارة

تغدو بين أيدى الأطفال ماسا ثمينا

كيف تغدو دراجة الطفل لغما

وشريط الحرير يغدو كمينا

كيف مصاصة الحليب

إذا ما حاصروها تحولت سكينا

* * *

يا تلاميذ غزة لا تبالوا بإذاعاتنا

ولا تسمعونا

اضربوا بكل قواكم

واحزموا أمركم ولا تسألونا

نحن أهل الحساب

والجمع والطرح

فخوضوا حروبكم واتركونا

إننا الهاربون من خدمة الجيش

فهاتوا حبالكم واشنقونا

نحن موتى لا يملكون ضريحا

ويتامى لا يملكون عيونا

قد لزمنا جحورنا

وطلبنا منكم أن تقاتلوا التنين

قد صغرنا أمامكم ألف قرن

وكبرتم خلال شهر قرون.

* * *

يا تلاميذ غزة

لا تعودوا لكتاباتنا ولا تقرأونا

نحن أباءكم فلا تشبهونا

نحن أصنامكم فلا تعبدونا

نتعاطى القات السياسى والقمع

ونبنى مقابر وسجون

حررونا من عقدة الخوف فينا

واطردوا من رءوسنا الأفيون

علمونا فن التشبث بالأرض

ولا تتركوا المسيح حزينا

* * *

يا أحباءنا الصغار سلام

جعل الله يومكم ياسمينا

من شقوق الأرض الخراب

طلعتم وزرعتم جراحنا نسرينا

هذه ثورة الدفاتر

والحبر

فكونوا على الشفاه لحونا

أمطرونا بطولة وشموخا

واغسلونا من قبحنا

إغسلونا ولا تخافوا موسى

ولا سحر موسى

واستعدوا لتقطفوا الزيتون

إن هذا العصر اليهودى

وهم

سوف ينهار لو ملكنا اليقين

يا مجانين غزة ألف أهلا بالمجانين

إن هم حررونا

إن عصر العقل السياسى ولى

من زمان

فعلمونا الجنون.

* * *

منشورات فدائية .. على جدران إسرائيل

(١)

لَنْ تَجعَلُوا من شعْبِنا

شَعْبَ هُنُودٍ حمْر

فنحنُ باقُونَ هنا ..

فى هذه الأرضِ التى تلبسُ فى معْصَمِها

إسوارةً مِنْ زهر ..

فهذه بلادُنا

فيها وُجدْنا منذُ فجر العمرْ

فيها لَعِبْنَا .. وعِشقْنَا ..

وكتبنَا الشّعْر ..

مُشرّشونَ نحنُ فى خُلجانِها

مثل حشيش البحرْ

مُشرّشونَ نحنُ فى تاريخها

فى خبزها المرقوق .. فى زيتونها

فى قمحها المُصْفرّ ..

مُشرّشونَ نحنُ فى وجدانِها

باقُونَ فى آذَارِها ..

باقُونَ فى نيْسانها ..

باقُونَ كالحَفْر على صُلْبَانِها

باقُونَ فى نبيها الكريمِ، فى قُرآنِها

وفى الوصايا العشْر ..

(٢)

لا تَسْكَرُوا بالنصْـرْ

إذا قتَلتُمْ خالداً

فسوفْ يأتي عمرو
وإنْ سحقتُمْ وردةً
فسوف يبقى العطْرِ ..

(٣)

لأنَ موسى قُطعتْ يداهْ
ولم يعدْ يتقنُ فنّ السحرْ
لأنْ موسى كُسِرتْ عصاهْ
ولم يعدْ بوسعه
شقَّ مياه البَحْرَ
لأنكم لستُمْ كأمْريكا
ولسنا كالهنودِ الحمْر
فسوفَ تهلكونَ عن آخركُمْ
فوق صحارى مصْرِ ..

(٤)

المسْجدُ الأقْصَى، شهيدٌ جديدْ
نُضيفهُ إلى الحساب العتيقْ

وليست النــارُ، وليسَ الحريقْ
سوى قناديلَ تُضيء الطريقْ

(٥)

منْ قَصَبِ الغابَاتْ
نَخْرُجُ كالجنِّ لكُمْ
منْ قَصَبِ الغاباتْ
من رُزَم البريد، من مقاعد الباصاتْ
من عُلب الدخان، من صفائح البنزينِ،
من شواهد الأمواتْ
من الطباشير .. من الألواح .. من ضفائر البنَاتْ ..
من خَشَبِ الصُلْبَان .. من أوعيةِ البخورِ ..
من أغطية الصلاةْ ..
من ورق المُصْحَف، نأتيكُمْ
من السُطُور والآيَاتْ
لنْ تُفلتوا من يدِنا ..

فنحنُ مبثوثُونَ فى الريح .. وفى الماء .. وفى النَبَاتْ
ونحنُ معجونونَ بالألواح والأصواتْ
لنْ تُفلتوا ..
لنْ تُفلتوا ..
فكُلُّ بيتٍ فيه بنْدقيةٌ
من ضفّةِ النيل إلى الفُراتْ ..

(٦)

لنْ تستريحُوا معَنا ..
كُلُّ قتيلٍ عندنا
يموتُ آلافاً عن المرّاتْ ..

(٧)

إنتَبهُوا ..
إنْتَبهُوا ..
أعمدةُ النورُ لها أظافرٌ
وللشَبابيكِ عيْونٌ عشرْ

والموتُ فى انتظاركمْ
فى كلِ وجه عابرٍ .. أو لَفْتَةٍ .. أو خَصَرْ ..
الموتُ مخبوءٌ لكُمْ
فى مشْط كُلِّ امرأةٍ ..
وخُصلَــةٍ من شَعَرْ ..

(٨)

يا آلَ إسرائيلَ، لا يأخُذْكُمُ الغُرُورْ
عقاربُ الساعة إن توقَّفتْ
لابدَّ أن تَدُورْ ..
إنَّ اغتصابَ الأرض لا يُخيفُنا
فالريشُ قد يسقُطُ من أجنحة النُسُورْ
والعَطَشُ الطويلُ لا يُخيفُنا
فالماءُ يبقى دائماً فى باطنِ الصُخُورْ
هزمتُمُ الجيوشَ .. إلا أنكمْ لم تهزموا الشُعُورْ
قطعتُمُ الأشجارَ من رؤوسِهَا
وظلَّتْ الجُذُورْ ..

(٩)

نَنصحكُمْ أن تقرأوا

ما جاءَ في الزَبورْ ..

نَنْصَحُكُم أن تحملوا تَوْرَاتكُمْ

وتتبعوا نبيَّكم للطورْ

فما لكُم خبزٌ هنا .. ولا لكُمْ حُضُورْ

من باب كُلِّ جامعٍ

من خلف كُلِ منبرٍ مكسورْ

سيخرجُ الحجَّاجُ ذات ليلةٍ ..

ويخرجُ المنْصور ...

(١٠)

إنْتَظِرُونا دائماً ..

في كُلِّ مالا ينْتَظرْ

فنحنُ في كُلِّ المطارات ..

وفي كُلِ بطاقَات السفَرْ ..

نطلع فى روما .. وفى زوريخ ..
من تحت الحجرْ
نطلعْ من خلفِ التماثيلِ ..
وأخواض الزهرْ ..
رجالُنا يأتونَ دونَ موعد
فى غضَبِ الرعد .. وزخّاتِ المطرْ
يأتونَ فى عباءه الرسولِ ..
أو سيفِ عُمرْ ..
نساؤنا ..
يرسُمنَ أحزانَ فلسطينَ على دمع الشجرْ
يقبرنَ أطفالَ فلسطينَ بوجدان البشرْ
نساؤنا ..
يحملنَ أحجارَ فلسطينَ إلى أرض القمرْ ..

(١١)

لقد سرقتُمْ وطنًا ..
فصفقَ العالمُ للمغامرة

صادرتُم الألُوفَ من بيُوتنا

ويتمْ الألوفَ من أطفالنا

فصفّق العَالمُ للسماسَرةْ

سرقْتُم الزيتَ من الكنائسِ

سرقْتُم المسيحَ من منزلَه فى النِاصرَةْ

فصفقَ العالمُ للمغامَرةْ

وتنصبونَ مأتماً

إذا خطَفْنا طائرَةْ ..

(١٢)

تَذَكّروا ..

تَذَكّروا دائماً ..

بأنَ أمْريكا – على شأنها –

ليستْ هى الله العزيز القديرْ

وأنّ أمْريكا ـ على بأسها ـ

لنْ تمنَعَ الطيورَ من أن تطيرْ

قد تقتُلِ الكبيرَ، بارودةٌ
صغيرةٌ، فى يد طفلٍ صغيرْ

(١٣)

ما بيننا .. وبينكُمْ .. لا ينتهى بعامْ
لا ينتهى بخمسةٍ، أو عَشرةٍ، وبألفِ عامْ
طويلةٌ معاركُ التحريرِ كالصِيامْ
ونحنُ باقونَ على صدوركم كالنَقْشِ فى الرخَامْ
باقونَ فى صوت المزاريب .. وفى أجنحة الحمَامْ
باقونَ فى ذاكرة الشمس، وفى دفاترِ الأيامْ
باقونَ فى شيطنة الأولاد، فى خربشَ الأقلامْ
باقونَ فى شعر امرىءِ القيسِ، وفى شعر أبى تمامْ
باقُونَ فى شفاه من نُحبُّهمْ
باقُونَ فى مخارجِ الكلَامْ ..

(١٤)

موعدُنا حينَ يجىءِ المُغيبْ
موعدُنا القادمُ فى تلٍ أبيبْ
«نصرٌ من الله، وفتحٌ قريبْ» .

(١٥)

لیس حُزیرانُ سوی یوم من الأیامْ
وأجمل الورود، ما یُنبتُ فی حدیقة الأحزانْ ..

(١٦)

للحزن أولادٌ سیکبرونْ ..
للوجَعَ الطویل، أولادٌ سیکبرونْ ..
لمنْ قتلتمْ فی فلسطین صغارٌ سوف یکبُرونْ ..
للأرض .. للحارات .. الأبواب .. أولادُ سیکبُرونْ
وهؤلاء کلُّهُمْ .. تَجمَّعوا منذ ثلاثینَ سنه
فی غُرَف التحقیق .. فی مراکز البولیس .. فی السُجُونْ
تجمَّعوا کالدمع فی العُیونْ ..
وهؤلاء کلُّهُمْ ..
فی أیّ .. أیّ لحظةٍ
من کلَّ أبواب فَلسطینَ سیدخُلُونْ ..

(١٧)

.. وجاءَ في كتابه تعالَى:

بأنّكُمْ من مصر تخرجُونْ..

وأنّكُمْ في تيهها سوف تجوعونَ وتعطشونْ

وأنّكُمْ ستعبدونَ العجْلَ دونَ ربّكُمْ

وأنّكُمْ بنعمة الله عليكُمْ، سوف تكفرونْ.

وفي المناشير التي يحملها رجالُنا

«ومن ذُرى الجولان تخرجُونْ..»

«وضفّةِ الأُردنّ تخرجُونْ..»

«بقوةِ السلاح تخرجُونْ..»

(١٨)

سوفَ يموتُ الأعْوَرُ الدجّالْ

سوف يموتُ الأعْوَرُ الدجّالْ

ونحنُ باقونَ هنا ..

حدائقاً .. وعطرَ برتُقَالْ
باقونَ فيما رسم اللهُ على دفاتر الجبالْ
باقونَ في معاصر الزيتِ .. وفي الأَنوالْ
في المدّ .. في الجزر .. وفي الشروق والزوالْ
باقونَ في مراكب الصيدِ ..
وفي الأصداف والرمالْ ..
باقونَ في قصائد الحُبِّ ..
وفي قصائد النضالْ
باقونَ في الشّعْرِ .. وفي الأزْجَالْ ..
باقُونَ في عطرَ المناديلِ .. وفي (الدبكةِ) و(المُوّال) ..
في القصص الشعبيّ .. في الأمثالْ
باقُونَ في الكُوفيّة البيضاءِ .. والعُقَالْ
باقون في مروءة الخيل، وفي مروءة الخّـيالْ
باقُونَ في المهْبَاج .. والُبنِّ ..
وفي تحيّة الرجالِ للرجالْ ..

باقُونَ في معاطفِ الجنودِ ..

في الجراحِ، في السُعَالْ

باقُونَ في سنابلِ القمحِ، وفي نسائمِ الشمالْ

باقونَ في الصليبْ ..

باقونَ في الهلالْ.

في ثورةِ الطلاَّبِ، باقُونَ وفي معاولِ العُمَّالْ

باقُونَ في خواتمِ الخُطْبَةِ .. في أسِرَّةِ الأطفالْ

باقُونَ في الدموعْ ..

باقُونْ في الآمالْ ..

(١٩)

تسعُونْ مليوناً من الأعرابِ ..

خَلفَ الأُفْقْ غاضبُونْ

يا ويْلكُم من ثأْرِهِمْ

يومَ من القُمْقُمِ يطلعُونْ ..

(٢٠)

لأنَّ هارونَ الرشيدَ ماتَ من زمانْ

ولم يُعدْ في القصرِ غلْمانٌ .. ولا خصيانْ

لأنّنا نحن قتلناهُ، وأطعمناهُ للحيتانْ

لأنَّ هارونَ الرشيدَ لم يَعُدْ إنسانْ

لأنَّهُ في تختة الوثير ..

لا يعرفُ ما القُدْسُ .. وما بيسَانْ

فقد قطعنا رأسَهُ أمسِ ..

وعلَّقْنَاهُ في بيسانْ

لأنَّ هارونَ الرشيدَ أرنبٌ جبانْ

فقد جعلنا قصرَهُ .. قيادةَ الأركانْ ..

(٢١)

ظلَّ الفلسطينيُّ أعواماً على الأبوابْ

يشحذُ خبزَ العدلِ من موائد الذئابْ

وَيشتكي عذابَهُ للخالق التوَّابْ

وعندما ..

أخرَجَ من إسطبله حصانَــهُ

وزَيَّتَ البارودةَ المُلْقاةَ في السردابْ

أصبَحَ في مقدورِهِ

أن يبدأَ الحسابْ ..

(٢٢)

نحنُ الذين نرسُمُ الخريطَةْ

ونرسُمُ السفوحَ والهضابْ

نحنُ الذين نبدأ المحاكَمَةْ

ونفرضُ الثوابَ والعِقابْ ..

(٢٣)

العَرَبُ الذين كانوا عندكُمْ

مُصَدِّري أحْلامْ

تحولُوا – بعد حزيرانَ – إلى حقلٍ من الألْغامْ
وانتقلتْ (هانوى) من مكانِها ..
وانتقلتْ (فيتنامْ) ..

(٢٤)

حدائقُ التارخ دوماً تزهرُ
ففى ربى السودان قد ماجَ الشقيقُ الأحمرُ
وفى صحارى ليبيا
أوْرَقَ غُصنٌ أخَضَرُ
والعَرَبُ الذين قلتُمْ عنْهُم تحجَّروا ..
تغَّيرُوا ..
تغَّيرُوا ..

(٢٥)

أنا الفلسطينىُّ
بعد رحلة الضيَاع والسَرَابْ

أطْلَعُ كالعُشْب من الخَرَابْ

أُضيءُ كالبرق على وجوهكُمْ

أهطلَ كالسَحَابْ

أطْلَعُ كلَّ ليلةٍ ..

من فُسْحة الدار .. ومن مقابض الأبوابْ

من وَرَقَ التْوت .. ومن شجيرة اللبلابْ ..

من بِرْكة الماء ..

ومن ثَرْثرة المِزْرابْ ..

أطلعُ من صوت أبى ..

من وجه أُمّى ، الطيِّب ، الجذّابْ

أطلعُ من كُلّ العيونَ السُود .. والأهدابْ

ومن شبابيك الحبيبات ..

ومن رسائل الأحبابْ

أطلعُ من راحة التُرابْ

أفتحُ بابَ منزلى.

أدخُلُه. من غير أن أنتظرَ الجوابْ

لأنّنى أنا السؤالُ والجَوَابْ ..

(٢٦)

مُحَاصَرونَ أنــتُمُ بالحقد والكراهيَةْ

فمنْ هُنا .. جيْشُ أبى عبيْدةٍ

ومنْ هُنا معاويَةْ

سلامُكُمْ مُمَزّقٌ

وبيتُكُمْ مُطَوَّقٌ

كبيت أىّ زانيَةْ ...

(٢٧)

نأْتى ..

بكوفيّاتنا البيضاء والسوداءْ

نرسمُ فوق جلدكُمْ

إشارةَ الفداءْ

مِنْ رَحِمِ الأيام نأتى كانبثاق الماءْ

مِنْ خيْمَةَ الذُلِّ التي يعلكها الهواءْ
مِنْ وَجَعَ الحسينِ نأتى ..
من أسى فاطمةَ الزهْرَاءْ ..
مِنْ أُحدٍ، نأتى، ومن بدْرٍ
ومن أحزان كربلاءْ
نأتى .. لكى نصحِّحَ التاريخ والأشياءْ ..
ونطمسَ الحروفَ فى الشوارع العبْرِّيةِ الأسماءْ

١٩٧٠

المحضر الكامل
لحادثة اغتصاب سياسى

سامحونا

سامحونا إن شتمناكم قليلا واسترحنا

سامحونا إن نحن صلحنا

كتب التاريخ لا تعنى لنا شيئا

وأقدار يزيد وعلى أتعبتنا

إننا نبحث عمن لايزالون يقولون كلاما عربيا

فوجدنا دولا من خشب

وجدنا لغة من خشب

وكلاما فارغا من أى معنى

سامحونا إن قطعنا صلة الرحم التى تربطنا

سامحونا إن فعلنا

سامحونا أيها السادة إن نحن جننا

ألف دجال على أكتفانا

استباحوا دمنا منذ ولدنا

ألف بوليس على أ وراقنا

يطلقون النار لكن ماسقطنا

حاولوا أن يقطعوا أرجلنا

كي يعيقوا الزحف لكنا وقفنا

قطعوا الأيدى كى لا نمسك الأقلام

لكنا كتبنا

حاولوا أن يقنعونا

أن قول الشعر كفر فكفرنا

سامحونا إن قتلنا مرة آباءنا

وشككنا فى روايات أبى زيد الهلالى

وفى شخصية الزير

وفى عنترة

سامحونا إن شككنا

فى نصوص الشعر والنثر التى نحفظها

وحديث السيف والرمح

وفي قال وقلنا

سامحونا إن هربنا

من بنى صخر وأوس

ومناخ وكليب

سامحونا إن هربنا

ماشربنا مرة قهوتهم إلا اختنقنا

ماطلبنا مرة نجدتهم إلا خذلنا

إن تاريخ ابن خلدون طلاق

فاعذرونا إن نسينا ما قرأنا

سامحونا إن دخلنا قصركم

من غير إذن

ودخلنا حجرة العرش

وقاعات المرايا

وشممنا عبق الاجساد

فى كل الزوايا

ورأينا كيف فى ثلاجة السلطان

يبقى طازجا لحم السبايا

سامحونا

سامحونا إن تعدينا على أملاككم

وعتقنا العدد الأكبر من زوجاتكم

ونحرناكم جميعا وانتحرنا

سامحونا إن قطعنا مرة سكرتكم

وسرقناكم من الويسكى يوما

وفتحنا جرحا

سامحونا إن سرقناكم

من الفيديو قليلا

كى نريكم موتنا

إننا نسأل عن شخص يسمى المتنبى

كان فى يوم من الأيام عصفور العرب

فعرفنا أنه مات على أيدى المباحث

ووجدنا طلقة فى رأسه

ووجدنا طلقة فى حلقة

ووجدنا طلقة فى قلبه

سامحونا

إن تعدينا على عذرية الدولة يوما

واغتصبناها بشكل همجى واسترحنا

وعضضناها كذئب من يديها

ولعنا والديها

وأمرنا الشعب أن يأكل لحما طازجا

من ناهديها

سامحونا

إن تجاوزنا الليقات قليلا

وتصرفنا كأطفال جياع

وشربنا من دم الدولة أنهارا ونمنا

سامحونا

سامحونا

سامحونا

إن تبولنا على كل التماثيل

التى تملأ ساحات المدينة

وعلى كل التصاوير

التى ألصقها البوليس بالغصب

على حوانيت المدينة

وعلى كل الشعارات

التى يقذفها بالطوب أطفال المدينة

سامحونا أن تجمعنا كأغنام

على سطح السفينة

وتشردنا على كل المحيطات

سنينا وسنينا

لم نجد ما بين تجار العرب

تاجرا يقبل أن يعلفنا

أو يشترينا

لم نجد بين جميلات العرب

مرأه تقبل أن تعشقنا

أو تفتدينا

لم نجد ما بين ثوار العرب

ثائرا لم يغمد السكين فينا

سامحونا

سامحونا

إن رفضنا كل شئ

وكسرنا كل شئ

واقتلعنا كل شئ

ورمينا لكم أوراقنا

ورمينا لكم أسمائنا

فالبوادى رفضتنا

والموانى رفضتنا

والمطارات التى تستقبل الطير

صباحا ومساءا رفضتنا

إن شمس القمع
فى كل مكان أحرقتنا

سامحونا إن بصقنا فوق عصر
ماله تسمية
سامحونا إن كفرنا

السيرة الذاتية لسياف عربى

أيها الناس

لقد أصبحت سلطانا عليكم

فاكسروا أصنامكم

بعد ضلال واعبدونى

إنى لا أتجلى دائما

فاجلسوا فوق رصيف الصبر

حتى تبصرونى

اتركوا أطفالكم من غير خبز

واتركوا نسوانكم من غير بعل

واتبعونى

احمدوا الله على نعمته

لقد أرسلنى كى أكتب التاريخ

والتاريخ لا يكتب دونى

إننى يوسف فى الحسن

ولم يخلق الخالق شعرا ذهبيا

مثل شعرى

وجبينا نبويا كجبينى

وعيونى غابة من شجر الزيتون واللوز

فصلوا دائما

كى يحفظ الله عيونى

أيها الناس

أنا مجنون ليلى

فابعثوا زوجاتكم يحملن منى

وابعثوا أزواجكم كى يشكرونى

شرف أن تأكلوا حنطة جسمى

شرف أن تقطفوا لوزى وتينى

شرف أن تشبهونى

فأ نا حادثة ما حدثت منذ آلاف القرون

أيها الناس

أنا الأول

والأعدل

والأجمل من بين جميع الحاكمين

وأ نا بدر الدجى

وبياض الياسمين

وأ نا مخترع المشنقة الأولى

وخير المرسلين

كلما فكرت أن أعتزل السلطة

ينهانى ضميرى

من ترى يحكم بعديد هؤلاء الطيبين

من سيشفى بعدى الأعرج

والأبرص

والأعمى

ومن يحيى عظام الميتين

من ترى يخرج من معطفه ضوء القمر

ممن ترى يرسل للناس المطر

من ترى يجلدهم تسعون جلدة

من ترى يصلبهم فوق الشجرة

من ترى يرغمهم

أن يعيشوا كالبقرة

ويموتوا كالبقرة

كلما فكرت أن أتركهم

فاضت دموعى كغمامة

وتوكلت على الله

وقررت أن أحكم الشعب

من الآن إلى يوم القيامة

أيها الناس

أنا أملككم

مثلما أملك خيلى وعبيدى

وأنا أمشى عليكم

مثلما أمشى على سجاد قصرى

فاسجدوا فى قيامى

واسجدوا فى قعودى

أو لم أعثر عليكم ذات يوم

بين أوراق جدودى

حاذروا أن تقرأوا أى كتاب

فأنا أقرأ عنكم

حاذروا أن تكتبوا أى خطاب

فأ نا أكتب عنكم

حاذروا أ ن تسمعوا فيروز بالسر

فإنى بنواياكم عليم

حاذروا أن تنشدوا الشعر أمامى

فهو شيطان رجيم

حاذروا أن تدخلوا القبر بلا إذن

فهذا عندنا إثم عظيم

والزموا الصمت إذا كلمتكم

فكلامى هو قرآن كريم

أيها الناس

أنا مهديكم فانتظرونى

ودمى ينبض فى قلب الدوالى

فاشربونى

أوقفوا كل الأناشيد

التى ينشد ها الأطفال فى حب الوطن

فأنا صرت الوطن

إننى الواحد

والخالد ما بين جميع الكائنات

وأنا المخزون فى ذاكرة التفاح

والناى وزرق الأغنيات

أرفعوا فوق الميادين تصاويرى

وغطونى بغيم الكلمات

واخطبولى أصغر الزوجات سنا

فأ نا لست أشيخ

جسدى ليس يشيخ

وسحونى لا تشيخ

وجهاز القمع فى مملكتى

ليس يشيخ

أيها الناس

أنا الحجاج

إن أنزع قناعى تعرفونى

وأنا جنكيز خان

جئتكم بحرابى

وكلابى وسجونى

لا تضيقوا أيها الناس ببطشى

فأنا أقتل كِي لا تقتلونى

وأنا أشنق كى لا تشنقونى

وأنا أدفنكم فى ذلك القبر الجماعى

لكى لا تدفنونى

أيها الناس
اشتروا لى صحفا تكتب عنى
إنها معروضة مثل البغايا
فى الشوارع
اشتروا لى ورقا أكبر
مصقولا كأعشاب الربيع
ومدادا ومقابر
كل شئ يشترى
فى عصرنا حتى الأصابع

اشتروا فاكهة الفكر
وخلوها أمامى
وأطبخوا لى شاعرا
واجعلوه بين أطباق طعامى

أنا أمى وعندى عقدة

مما يقول الشعراء

فاشتروا لى شعراء يتغنون بحسنى

واجعلونى نجم كل الأغلفة

فنجوم الرقص والمسرح

ليسوا أبدا بأجمل منى

اشتروا لى كل ما لايشترى

فى أرضنا أو فى السماء

اشتروا لى غابة عسل النحل

ورطلا من نساء

فأ نا بالعملة الصعبة

أشرى ما أريد

أشترى ديوان بشار بن برد

وشفاه المتنبى وأناشيد لبيد

فالملايين التى فى بيت مال المسلمين

هى ميراث قديم لأبى

فاخذوا من ذهبى

واكتبوا فى أمهات الكتب

إن عصرى عصر هارون الرشيد

يا جماهير بلادى

يا جماهير الشعوب العربية

إننى روح تقى

جاء كى يغسكلم

من غبار الجاهلية

سجلوا صوتى على أشرطة

إن صوتى أخضر الايقاع

كالنافورة الأندلسية

صورونى باسم كالجيو كندة

ووديعا مثل وجه المجدلية

صوروني وأنا أقطع كالتفاح

أعناق الرعية

صوروني وأنا أفترس الشعر بأسناني

وأمتص دماء الأبجدية

صوروني بوقاري

وجلالي

وعصاي العسكرية

صوروني عندما أصطاد وعلا

أو غزالا

صوروني عندما أحملكم

فوق أكتافي لدار الأبدية

يا جماهير الشعوب العربية

أيها الناس

أنا المسئول عن أحلامكم

إذ تحملون

وأنا المسئول عن كل رغيف تأكلون

وعن الشعر الذى

من خلف ظهرى تقرأون

فجهاز الأمن فى قصرى

يوافينى بأخبار العصافير

وأخبار السنابل

ويوافينى بما يحدث فى بطن الحوامل

أيها الناس

أنا سجانكم وأنا مسجونكم

فلتعذرونى

إننى المنفى فى داخل قصرى

لا أرى شمسا

ولا نجما

ولا زهرة دفلة

منذ أن جئت إلى السلطة طفلا

ورجال السرك يلتفون حولى

واحد يضرب طبلة

واحد يمسح جوخا

واحد يمسح نعلا

منذ أن جئت إلى السلطة طفلا

لم يقل لى مستشار القصر كلمة (كلا)

لم يقل لى وزرائى

أبدا فى الوجه كلمة (كلا)

لم تقل لى إحدى نسائى

فى سرير الحب كلمة (كلا)

إنهم قد علمونى

أن أرى نفسى الها

وأرى الشعب من الشرفة رملا

فاعذرونى إن تحولت لهولاكو جديد

أنا لم أقتل لوجه القتل يوما

إنما أقتلكم كى أتسلى

الكتابة بالحبرِ السرّي

(١)

هُمْ يكتبونَ.. كأنَّهمْ لا يكتبونْ..
ويُعاصرونَ سُقوطَ تاريخٍ..
وهُمْ مثلِ الدجاج مُجلدونْ..
ويُسافِرونَ..
بغير أقدام، على أوراقهمْ
ويُضاجعونَ نساءهم ليلاً
وهُمْ مُتنكّرونْ..

(٢)

وطنٌ تَنَاثَرَ كالغُبَار أمامَهُمْ
وهُمْ على أطلاله يَتنَزّهونْ..

هُمْ خائفونَ..
على أناقتِهِمْ..
وقَصَّةِ شعرِهِمْ..
وعلى نشاءِ قميصِهِمْ..
هُمْ خائفونْ.

(٣)

الشاربُونَ النفْطَ..
حتى يُبْدِعوا..
مِنْ زيتِ الكاز..
ماذا يشربُونْ؟
هل هؤلاءِ طليعةٌ ثوريةٌ
أم باعةٌ مُتجوّلُونْ؟؟

(٤)

البائعونَ ثقافةً مغشُوشَةً
والكاتبونَ قصائداً سِرّيةً

والراقدون بغرفةِ الإنْعَاشِ ..

لا يتحركُّونْ..

والسائحون على ضفَافِ جراحِنَا

ماذا سيفعلُ هؤلاءِ السائحونْ؟

فمنْ المقاهى..

يعلنونَ حروبَهُمْ.

ومن المقاهى..

يُطْلقُونَ رصاصَهُمْ

ما أجَبنَ الثْورات

تخرجُ من كُؤُوسِ اليانسونْ!!

(٥)

ماذا يريدُ الأنبياءُ الكاذبُونْ؟

الثائرونَ على دفاترهم

وهُمْ عند النظامِ .. موظَّفُونْ.

والشاهرونَ سيوفَ أحرفُهم

وهمْ متقاعدونْ..

والحاملونَ طبولُهمْ.. ودفوفَهُمْ.

فبكلّ عرْسٍ سلْطَوىّ

يدبكُونْ.. ويرقُصونْ..

ولكل طاغية..

يُضيئونَ الشموعَ..

ويسجُدونَ..

ويركعُونْ..

(٦)

ماذا يريد الهاربُونَ

من الشهامة، والرجُولة،

ماذا يريدُ الهاربُونْ؟

الجالسونَ أ مامَ شُطآنِ الخليجِ

يُدخّنُونْ..

ماذَا يريدُ النَرْجسُيونَ

الذين بحسنهم يتغزّلونْ؟

وبشعرهمْ يتغزّلونْ..

وبنثَرهمْ يتغزلون..

(٧)

الرائدون..

وليس ثم ريادة .. أو رائدون..

والجالسون أمام أبواب الجوامع ..

والكنائس..

والتكايا..

يشحذون..

(٨)

ماذا يريدُ اللاعبونَ على اللُّغَاتِ

الشاطرونَ..

الماكُرونْ؟

الشاهدونَ على جريمة شنقنا

ماذا تراهُمْ يشهدونْ؟

والساكتونَ على اغتصاب نسائنا..

في أيّ يومٍ يغضبونْ؟

في آبَ؟ في أيلولَ؟ في تشرينَ؟

في يوم القيامة ـ ربّما ـ

هُمْ يغضبونْ!!.

(٩)

لا شيءُ..

في العصر البيزنطيِ الجديدِ يَهزُّهمْ

لا شيءَ..

في عصر المماليكِ الجديدِ يهزهمْ..

لا شيءَ..

في عصر (المارينز) يثيرهمْ

كي يصرخُوا..

أو يرفضُوا..

أو يبصقوا..

أو يعلنوا رأيًا..

فَهُمْ موتى

وماذا قد يقولُ المِيتُونْ؟

(١٠)

مَنْ هؤلاء السادةُ المُسْتَشْرِقُونْ؟

ولأىّ شعب؟

أىّ أرض؟

أىّ دين؟

أىّ رب ينتمُونْ؟

ما مسهُمْ حرٌّ، ولا قرٌّ،

ولا قلقٌ، ولا أَرقٌ،

ولا حزْنٌ..

ولا مَنْ يحزَنونْ..

يتكّلمونَ .. بألف موضوعٍ

ولا يتكلّمونْ..

ويحرّكونَ شفاههمْ

لكنَّهُمْ لا ينطقونْ..

ويشاهدونَ جنازةَ الوطنِ القتيلِ أمامَهُمْ

تمشى..

فلا يترحَّمُونْ..

(١١)

من هؤلاء الطارئونَ على مَشاكل عَصْرِنا؟

مَنْ هؤلاء الطارئُونْ؟

هم يزعمُونَ بأنهُمْ سيغيّرونَ خريطةَ الدنيا..

وهُمْ متـخلفونْ..

وبأنّهمْ سيحررونَ الفكْرَ والإنسانَ فى كَلِمَاتِهِمْ

وهُمْ على كلِ الموائد يخدمُونْ..

وبأنهْمْ عرَبٌ غطاريفٌ

وهُمْ مستعربونْ..

(١٢)

مَنْ هؤلاء
الخائفونَ على طراوة جلْدهمْ؟
وعلى تناسق خُصَرْهمْ
وِعلي أنوثة صوتهمْ
مَنْ هؤلاء المترَفونْ؟
هل هؤلاء طليعة ثوريّةٌ؟
أم باعَة متجوّلونْ؟؟